خبز الارزّ

كان الخبز اكثر ما يُصنع قديماً من الحنطة ، او الارزّ ، او الشعير . وقد عدّ ابن جزلة من انواعه ما يأتي من لفظه:

« خبز الحنطة . خبز خشكار خبز مغسول خبز سميذ . خبز الحواري . خبز فطير . خبز الطابون (على الحصى) . خبز الطابق . خبز القطائف . خبز الابازير . خبز الارز . خبز الشعير . »[1] ويظهر ان خبز الذرة اول ما أُكل في مصر سنة ٨٩٢ (١٤٨٧م) حين اشتدّ الغلاء فيها . واقترح العوام رقصة كانوا يرقصونها وهم يغنون:

زُوبعي دي المخره يطعمني خبز الدره [2]

وللشيعة اعتقاد حسن في خبز الارزّ لقول الصادق فيه ، وهو لقب ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين: « ما دخل جوف المسلول مثله . انه يسلّ الداء سلّاً . » ومن صحيفة الرضا عن ابي ناقع يرفعونه انه قال : « ما من شيء انفع منه . وما من شيء يبقى في الجوف من غدوة الى الليل الا خبز الارز . »[3]

ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن ابي المهلّب وهو يتعشى . فقال: ادنُ فكُلْ ، يا ابا صفوان . فقال: اصلح الله الامير لقد اكلت اكلة لست ناسيها . قال: وما اكلت ؟ قال: اتيت ضيعتي لإبّان الغراس واوان الحمرة فجئت فيها جولة حتى اذا خمدت الشمس وازمعت بالركود . دخلت الى غرفة في هفافة في حديقة قد فتحت ابوابها ونضح الماء جوانبها . وفرشت ارضها بلون الرياحين . ثم أُتيت بخبز ارز كأنه قطع العقيق وسلك بنانيّ بيض القطون بزق العيون . . . »[4]

ويؤخذ من بيتين لابن خلّاد في وصف خبز الارزّ انه كان يُعلّق احياناً بالحبة السوداء والسمّ . وهما قوله :

عليه من الشونيز آثار كاتب وحبات ورّاق تنقط بالحبر

---

١) منهاج البيان في ما يستعمله الانسان . خزانة اكسفورد ٨٠٤ : ٣٠٤ : ١٠ : ١٠٠٠

٢) تاريخ مصر لابن اياس ٣ : ٢٤٣

٣) نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق ، من مخطوطات الخزانة المطوفية ، رقم ١٦٩٣

٤) الكامل للمبرّد ٣ : ٢٩٢

ومن سمك قد زعفروه، كأنه قرافة تبر في لجينة عرّ (١)

وكان على كل حال قوت الفقراء والبخلاء لرخص اسعاره. ولما مر ابن بطوطة بمدينة واسط نزل في رباط فيها، حتى اذا انقضت صلاة العصر «ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص. ثم صلّوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر». (٢) ومن المدن التي اعتادت اكله كثيراً البصرة. قيل ان فتى من اهل المدينة دخل البصرة ثم انصرف. «فقال له اصحابه: كيف رأيت البصرة؟ قال: خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس. اما الجائع فيأكل خبز الارز والصحناء (ادام من السمك الصغير المملوح) لا ينفق في الشهر درهمين». (٣) وحكى الجاحظ عن رجل من البخلاء يسمى ابن العتدي قال: «ربما استزار اصحابه الى البستان... فسألت ذات يوم بعض زوّاره فقلت: احكِ لي امرهم... قال: يشتري لنا ارزاً بقشره ويحمله معه. ليس معه شيء مما خلق الله الا ذلك الارز. فاذا صرنا الى ارضه كلف اكّاره ان يجشه في مجشة له ثم غربله... ثم كلف الاكار ان يطحنه على ثوره وفي رحاه. فاذا طحنه كلفه ان يغلي له الماء. وان يختطب له. ثم يكلفه العجن لان الماء الحار اكثر بلّاً. ثم كلف الاكار ان يخبزه». (٤)

ولم تخلُ بغداد من حرانيت كان يدقّ الارزّ فيها. وفي ترجمة عبد القادر السهروردي الواعظ المتوفى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧/٨ م) انه قال: «خرجت يوماً الى بعض الاسواق. فوجدت رجلاً وبين يديه طبرزين. وعنده جماعة يدقون الارز. فقلت هل لك ان تستأجرني. فقال أرني يديك. فأريته. فقال هذه يد لا تصلح الا للقلم. ثم ناولني قرطاساً فيه ذهب. فقلت ما آخذ الا اجرة عملي. فان كان عندك نسخ تستأجرني في النسخ. والا انصرفت. وكان رجلاً يقظاً. فقال اصعد.

---

١) ديوان المعاني لابي هلال العسكري. خزانة بريتش موزيوم. لندرة Add. 23443. f. 56

٢) رحلة ابن بطوطة (طبعة الميل) ١ : ١٠٩

٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٢١

٤) كتاب البخلاء للجاحظ (طبعة ليدن)، ص ١٣٩–١٤٠

وقال لغلامه ناوله تلك المدقة. فناولني. فدققت معهم وليس لي عادة. وصاحب الدكان يلحظني. فلما عملت ساعة قال تعال. فجئت اليه فناولني الذهب وقال هذا اجرتك. فاخذته وانصرفت.»[1]

ومن الاقاليم التي غلب فيها قديماً خبز الارز طبرستان. واكثر طعامهم منه ومن السمك[2]. وخوزستان. قال ابن حوقل: واكثر حبوبهم بعد القمح والشعير الارز حتى انهم ليخبزونه ويأكلونه وهو لهم قوت. وفيهم من تعود اكل خبز الارز طول السنة. حتى اذا اكل خبز الحنطة اخذه المغص ووجع البطن.[3]

وفي اوائل القرن الرابع للهجرة كان في البصرة الشاعر المشهور ابو القاسم نصر المعروف بالخبزارزيّ. وهو من الشعراء المحترفين. كان يخبز خبز الارز ويبيعه في دكان له في المربد وهو ينشد ما يقوله من الشعر والناس ملتفون عليه لاستماع شعره وملحه. لانه كان اميًا لا يتهجى ولا يكتب.[4] ذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام ان ابا محمد عبد الله بن محمد الاكفاني قال: خرجت مع عمي ابي عبدالله الاكفاني الشاعر وابي الحسين بن لنكك وابي الحسن السماك في بطالة العيد، وانا يومئذ صبي اصحبهم. فانتهوا الى نصر الخبزارزي وهو يخبز على طابقه. فجلسوا يهنئونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق. فزاد في الوقود فدخنهم. فنهضوا حين تزايد الدخان. فقال نصر لابن لنكك: متى اراك يا ابا الحسين؟ فقال له: اذا اتسخت ثيابي. ثم مضينا... فجلس ابن لنكك وقال ان نصرًا لا يخلي المجلس الذي مضى لنا معه من شيء يقوله فيه. ويجب ان نبدأه قبل ان يبدأنا. فاستدعى بدواة وكتب اليه:

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
اتيناه، فبخّرنا بخورًا ... من السعف المدخّن بالتهاب
فقمت مبادرًا، وحسبت نصرًا ... اراد بذاك طردي او ذهابي
فقال: متى اراك، ابا حسين؟ ... فقلت له: اذا اتسخت ثيابي

---

١) مجلد من تاريخ الاسلام للذهبي. خزانة برتيش موزيوم Or. 5101, f° 3
٢) مسالك الممالك للاصطخري، ص ٢١٣
٣) المسالك والممالك لابن حوقل، ص ١٧٣
٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٣: ٢٠١-٢٠٢

فلما وصلت الرقعة الى نصر املى على من كتب له بظهرها الجواب . فلما وصل الينا قرأناه فاذا هو فيه :

منحت ابا الحسين صبر ودّي ... فداعبني بالفاظ عذاب
اتى ، وثيابه كالشيب بيض ، ... فمُدن له كريعان الشباب
وبغضي للشيب اعدّ عندي ... سوادًا لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لمرس ... فجدت لهُ بشعر الثياب
وقلت : متى اراك ، ابا حسين ؟ ... فجاوبني : متى انسخت ثيابي
ولو كان التنزّه فيه خير ... لما كُنّي الوصيّ ابا تراب (١)

يريد بالوصي علي بن ابي طالب . ومثل هذا الشعر من اُمي عجب من العجب .

خبز الابازير

من جملة الاطعمة والاشربة التي اخذها الصليبيّون عن الشرقيّين خبز الابازير . وقد ترجموا اسمه بالحرف الواحد pain d'épices وهو عجين يُتخذ من الدقيق والعسل وبعض الابازير العطرة . تحشّى بشيء من الفواكه المربّاة . ويُصنع على اشكال متنوعة غاية في الحسن والطيب . ومنها رقاق تشبه الالسنة منشّاة بطبقة صقيلة من السكر الابيض . ولذلك يعدّ فيها السنة السنانير langues de chats . وقد اشتهرت مدينة ديجون في فرنسة بهذه الصناعة وتفنّنت بها كل التفنن . وهي اليوم قاعدة تجارتها . وهو احدى خصائصها وطرائفها .

وفي بعض المخطوطات ان صنعة خبز الابازير هي كصنعة خبز ارتين بالسواء [٢] . وصفتها ان يؤخذ مائة وخمسون درهمًا من دقيق السميذ وتعجن بخمسين درهمًا من دهن الجلّ . وهذا الدهن هو السمسم يُقلى على النار ويُطرح

(١) ارشاد الاديب لياقوت ٧ : ٢٠٦-٢٠٧

(٢) روضة الملر لمحمد بن محمود بن حاجي الشرواني . خزانة الشابكان رقم ٨٧٧ ، ص ٢٢٢